

القصيدة/النظام إلى القصيدة/الوحدة. أي أنها لم تعد نظاماً، ولكنها أصبحت جزءاً من نظام. حيث النظام هو الشعر، بوصفه منظومة من الأعراف الاصطلاحية والذوقية والثقافية. بينما القصيدة صارت وحدة في هذا النظام. وهي - كوحدة - أصبحت نصاً مائلاً وحقيقة محسوسة، وفي الوقت ذاته هي فعل مختلف عن النظام الذي ينتمي إليه النص، ويرجع إليه القارئ. ومن هنا تنشأ أسئلة النص التي لا جواب عليها سوى اجتهادات قرائية من القارئ، تتغير وتتغير وتختلف. لا بموجب المزاج وتغيراته، ولكن حسب اختلاف الاستجابات الثقافية والمعرفية والذوقية من حال إلى حال ومن جيل إلى جيل، مما يجعل النص إشارة حرة، ووحدة من نظام، ونقصاً يتكامل. وقد كان من قبل إشارة مقيدة ونظاماً مغلقاً وكاملاً محصوراً.

وإن كان التعميم في الحكم غير دقيق في كل حالات الشعر القديم من جهة والحديث من جهة أخرى، فإن الراجح هو أن شجرة المسيب بن علس (ومعه الأعشى) تصدق عليها أحكامنا عن النظام المغلق. ومن الراجح أن القصيدة العمودية كانت في طريقها إلى باب مسدود، وكانت مهددة بالوقوع في دائرة مغلقة، ولم ينقذ الشعر العربي من هذا المصير إلا القصيدة الحديثة وما اقترفته من تحدٍ للنموذج وكسر للنظام، وتحييد لسلطة الشاعر المطلق المستبد والقصيدة الكاملة.

وهذه الأحكام هي تصوّرات نظرية عن نظامين ونموذجين ثقافيين، أحدهما سلطوي فردي كامل في مبناه ومعناه، والثاني